محاسبة النفس [١]

الحمد لله رب العالمين، القائل في محكم التنزيل: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقَّة: ١٨]، والصلاة والسلام على البشير النذير، وبعد: أيها الحضور الكريم: إذاعتنا لهذا اليوم ..... وتاريخ .../.../...١٤هـ ستكون بإذن الله تعالى عن: **محاسبة النفس وأهميته في حياة المسلم**.

١) القرآن الكريم هو البداية لهذه الإذاعة المباركة وآيات عطرة يتلوها الطالب:.....

﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٠-٦٤].

٢) في الحديث: «فليتحلل منه اليوم» الحديث الشريف مع أخينا الطالب:.....

عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إن الله عز وجل**

يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها» رواه مسلم. وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه، أو من شيء، فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات فحمل عليه»** رواه البخاري.

❁ ❁ ❁

٣) ما هي المحاسبة؟ وماذا نقصد بمحاسبة النفس؟ مع الطالب:.....

المحاسبة مفاعلة من الحساب والعد، وقال الماوردي: «أن يتصفح الإنسان في ليله ما صدر من أفعال نهاره، فإن كان محمودًا أمضاه وأتبعه بما شاكله وضاهاه، وإن كان مذمومًا استدركه إن أمكن، وانتهى عن مثله في المستقبل»[(١)]. وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «هي التمييز بين ما له وما عليه، فيستصحب ما له، ويؤدي ما عليه؛ لأنه مسافر سفر من لا يعود»[(٢)].

وقال أحد العلماء: هي التثبت في جميع الأحوال قبل الفعل والترك من العقد بالضمير، أو الفعل بالجارحة حين يتبين له ما يفعل وما يترك، والمحاسبة هي النظر في الأعمال واستدراك الأخطاء، والمضي في الصالحات.

❁ ❁ ❁

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي (ص٤٥٣).

(٢) مدارج السالكين (١/١٨٧).

٤) كلمة الصباح يقدمها الطالب: ..... بعنوان: (أهل الإيمان).

لقد حث الله أهل الإيمان على محاسبة نفوسهم والتأمل فيما قدموه لآخرتهم فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾ [الحشر: ١٨]، وقال صاحب الظلال: «هو تعبير ذو إيحاءات أوسع من ألفاظه، ومجرد خطورة على القلب يفتح أمامه صفحة أعماله، ويمد ببصره في سطورها كلها يتأملها وينظر رصيد حسابه بمفرداته وتفصيلاته، وهذا التأمل كفيل بأن يوقظه إلى مواضع ضعف ومواضع نقص ومواضع تقصير، مهما يكن قد أسلف من خير وبذل من جهد، إنها لمسة لا ينام بعدها القلب أبدًا»(١).

❀ ❀ ❀

٥) الطالبان:.....و:.....يقدمان لكم بعض فوائد محاسبة النفس:

أولًا: الاطلاع الدائم على عيوب النفس ونقائصها ومثالبها؛ ومن ثم إعطاؤها مكانتها الحقيقية إن جنحت إلى التكبر والتغطرس، ومعرفته لنفسه يورث التذلل لله وتعظيم حرماته، وفعل الطاعات التي تقربه إلى رضا ربه وخالقه والمتفضل عليه بالنعم الكثيرة والدائمة.

ثانيًا: تزكية النفس وتطهيرها من الدنس، وإصلاحها، وإلزامها أمر الله

(١) انظر: محاسبة النفس ضرورة ملحة لعبدالله عسكر (ص٢١).

تعالى، وهذه من أعظم ثمار محاسبة النفس، وتزكية النفس وصلاحها عليه مدار فلاح العبد ونجاته من عذاب الله، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٩-١٠].

ثالثًا: أنها تربي عند الإنسان الضمير داخل النفس، وتنمي في الذات الشعور بالمسؤولية، ووزن الأعمال والتصرفات بميزان دقيق هو ميزان الشرع الحنيف.

رابعًا: أن يتعرف العبد على حق الله تعالى عليه، ومعرفة عظيم فضله ومنّه ونعمه، وذلك عندما يقارن نعم الله عليه وتفريطه في جنب الله، فيكون ذلك رادعًا له عن كل فعل مشين؛ وبذلك يعلم أن النجاة لا تحصل إلا بشكر الله وطاعته وترك معصيته.

❁ ❁ ❁

٦) أهل الدنيا يحاسبون أنفسهم يوميًا، كيف ذلك؟ مع الطالب:.....

غير خاف علينا جميعًا ما يحرص عليه أهل الدنيا من معرفة ما لهم وما عليهم من ربح أو خسارة في أمور دنياهم وتجارتهم، ووضعهم للمحاسبين، وإصدارهم للميزانيات سواء كانت سنوية، أو نصف سنوية، أو ربع سنوية، أو شهرية؛ وذلك ليعرفوا أحوالهم الدنيوية ويعرفون ما لهم وما عليهم، وماذا لديهم من المال، وكم صرفوا منه، ولا يعابون في ذلك، لكن أليس من الأولى أن نفعل ذلك في أمورنا الدينية، فنعرف حالنا مع أوامر الله تعالى ومع نواهيه، وكيف حالنا في اتباع سنة وهدي المصطفى عليه أتم الصلاة والتسليم.

❁ ❁ ❁

٧) الأسباب المعينة على محاسبة النفس كثيرة، الطالب: .....

يذكر لنا أهمها:

١ - الدعاء بالتوفيق والهداية، وكثرة الاستغفار.

٢ - طلب العلم والإخلاص فيه لله تعالى.

٣- امتثال أوامر الله تعالى، واتباع هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٤ - الصحبة الصالحة الناصحة.

٥ - استحضار ومعرفة ثمرات محاسبة النفس.

٦ - قراءة سير السلف الصالح في محاسبة أنفسهم.

٧- الخوف من الإفلاس، كما في الحديث: **«أتدرون من المفلس»**.

٨- معالجة الأمور أولًا بأول وقبل استفحالها وفوات الأوان.

٩ - تحكيم شرع الله على النفس، وعدم اتباع هواها ورغباتها.

❀ ❀ ❀

٨) كيفية المحاسبة، وماذا قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ مع الطالب:.....

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وجماع ذلك: أن يحاسب نفسه أولًا على الفرائض، فإن تذكر فيها نقصًا تداركه، إما بقضاء أو إصلاح، ثم يحاسبها على المناهي، فإن عرف أنه ارتكب منها شيئًا تداركه بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية، ثم يحاسب نفسه على الغفلة، فإن كان قد غفل عما خلق له تداركه بالذكر والإقبال على الله، ثم يحاسبها بما تكلم به أو مشت إليه رجلاه أو بطشت يداه،

أو سمعته أذناه، وماذا أرادت بهذا؟ ولمن فعلته؟ وعلى أي وجه فعلته؟»[١].

انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

❁ ❁ ❁

ختامًا: أيها الحضور الكريم: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزن، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

❁ ❁ ❁

(١) إغاثة اللهفان (١/٨٣).